

للمجانين لم تقم حتى الآن على أسس سليمة قط ، ولم تسر طبقا لأية قواعد أو نظم ثابتة ٠٠٠٠ فى هذا العالم المضطرب القلق المشوش يفتح كل انسان كرشه من أجل أن يبتلع الآخر ، ويظنون جميعا يشحنون أسنانهم من أجل أن يمزق كل منهم الآخر اربا ٠٠ »

هذه السطور القليلة تلخص نظرة الكاتب الكئيبة الى الحياة .  
وفى ثلاثيته : « مسرات الليل - ١٩٣٢ » و « فى سبيل المعيش : نس تلاش معاش - ١٩٣٢ » و « أشرف المخلوقات - ١٩٣٤ » ، يقدم كآبة تبعث على الغثيان ، وفقرات من أشد أنواع التشاؤم سوادا وبنضا للبشر ، تتصل عموما بنقص فى المعنويات والأخلاقيات مصدوبة فى لغة تبدو فى بعض الأحيان مثل صيحات رجل تحت التعذيب . أما شخصياتها فهم عدد من زملاء الدراسة الذين فشلوا لسبب أو لآخر فى اتمام دراستهم وخرجوا الى حياة الكبح ، وهم يقضون النهار فى أعمالهم فى المكاتب أو المدارس أو المصانع . الى آخره ، ويقضون لياليهم ينتقلون من حان الى حان يشربون ويبحثون عن النساء ، وينتهون الى بيوت الدعارة . ليس لديهم أمل ولا هدف ولا اهتمامات روحية ، انهم نتاج مجتمعهم ، مجتمع يعانى من التناقضات التى لاحد لها ، ليس زملاء الدراسة هؤلاء هم الذين يعانون انواعا عديدة من الأمراض التناسلية فحسب بل - وكما يرى المؤلف - يعانى جسد المجتمع كله نفس المعاناة . ان الناس يسقطون فى كل سبل الحياة ويصيحون ويسرق كل منهم الآخر ، والمال هو عماد كل شىء ، انها مملكة الحيوان عند هيجل حيث « يأكل الكلب الكلب » .

كان مسعود متمردا دون سبب ، انه متطير ليس لديه اذنى ثقة فى طبيعة البشر ، وفى نظره ان الناس خلقوا فجرة منحطين ملعونين وهم يستحقون أى برؤس يحق بهم . أما القيم التى تغير كالحب والصدقة والانسانية والنشاط والعلم ٠٠٠٠ الى آخره فهى ليست أكثر من سراب . واذن فليس مما يدعو الى الدهشة أن تحتوى